النِّفاق ومظاهره

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

اليوم 20 من ذي الحجّة 1434هـــ الموافق لـــ 25 أكتوبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، حديثنا في هذه الجمعة المباركة:

النِّفاق ومظاهره

هذا الموضوع، إخوتي الكرام، خطيرٌ يصيب بعض المؤمنين، من أجل ذلك نجد بأنّ عمرًا بن الخطّاب يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: (**يا حذيفة!، ناشدتك بالله، هل سمّاني لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم** (أي من المنافقين) ؟)، قال: (**لا!، ولا أُزَكِّي بعدك أحدًا**).

حتّى أنّ الحسن البصري قال: (**ما أَمِنَ النّفاق إلاّ منافقٌ، وما خاف النّفاق إلاّ مؤمنٌ**).

يجب أن تعرف هذا المرض ومظاهره.

أيّها الإخوة الكرام،

النّفاق داءٌ عُضالٌ، ومرضٌ باطنيٌّ خطيرٌ، يتغلغل في نفس المؤمن وهو لا يدري، فمن كان مطمئنًّا منه ربّما كان منافقًا.

الواحد منّا إذا كان يخاف على سلامة إيمانه، يخاف على مكانته ومقامه عند ربّه، يخشى الله واليوم الآخر، يخشى أن يحبط عمله، يخشى أن تكون له صورتان، واحدةٌ لا يرضاها الله تعالى، فلينتبه معنا في هذه الجمعة.

العلماء قالوا: (**النّفاق نوعان: نوعٌ أكبرٌ ونوعٌ أصغرٌ، النّوع الأكبر يوجب الخلود في النّار في دركها الأسفل**).

" إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا

﴿ 145 ﴾ " سورة النّساء.

إخوتي الكرام،

المشكلة أنّ المنافق يُصلّي مع النّاس، ويصوم مع النّاس، وله زيٌّ إسلاميٌّ، يحضر جماعتهم، فهذا يوجب النّار والخلود فيها، لأنّ المنافق يُظْهِرُ للمسلمين إيمانًا بالله وبالإسلام وبرسول الله، وهو في الباطن لا يؤمن بشيءٍ من ذلك.

هذا المنافق هتك الله ستره، وكشف سِرَّهُ، وجلاه لعباده، ليكون النّاس منه على حذرٍ.

ذكر الله تعالى في مطلع سورة البقرة بأصنافٍ ثلاثةٍ:

مؤمنٌ وكافرٌ ومنافقٌ.

- فخصّ المؤمنين بأربع آياتٍ:

" الٓمٓ (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿ 2 ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ 3 ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿4﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿5﴾ " **سورة البقرة.**

- والكفّار خصّهم بآيتين:

" **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿6﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿7﴾** " **سورة البقرة.**

وأمّا المنافقون فتحدّث عنهم في ثلاث عشرة آيةٍ لخطورتهم وانتشار النّفاق في صفوف المؤمنين.

إخوتي الكرام،

المسألة بسيطةٌ:

* مؤمنٌ مستقيمٌ، عقيدته صحيحةٌ، مخلصٌ، مقبلٌ على الله، منيبٌ، مطيعٌ له، ورعٌ.

* الكافر لا يستحي بكفره في قوله وفعله وحركاته.

فنحن نعرف المؤمن ونعرف الكافر.

لكن الشّخص الثّالث هو الخطر، خصّه الله بثلاث عشرة آيةٍ لكثرة المنافقين وعموم البلاء والمحنة بهم، وشدّة خطورتهم، وفتنتهم للمسلمين، فَبَلِيَّةُ الإسلام بهم.

فكم من فضيلةٍ دفنوها؟،

وكم من رذيلةٍ نشروها؟،

وكم من خيرٍ في الأمّة طمسوه؟،

وكم من فسادٍ نشروه؟،

كم من صفٍّ مزّقوه؟،

وكم من فتنةٍ أحدثوها؟،

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿ 11 ﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ 12 ﴾ " سورة البقرة.

"يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿ 8 ﴾ " سورة الصّفّ.

أوّل صفةٍ في المنافقين، مفارقة الوحي، مخالفة الكتاب والسّنّة، يتحرّك المنافق في الحياة وفق هواه حيث مصالحه، وليس حيث شرع الله، لا يعبأ بكلام الله ولا حدوده، ولا أوامره، ولا نواهيه:

" فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿ 53 ﴾ " **سورة المؤمنون.**

مواقفهم، أفكارهم، آراءهم، تنظيماتهم لا صله لها بالدّين.

لقد اتّخذوا هذا القرآن مهجورًا تلاوةً وتدبّرًا والتزامًا:

" صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿ 18 ﴾ " **سورة البقرة.**

عَيْنَا المنافق لا تلتفت إلى آيات الله، بل تلتفت إلى زخرف الدّنيا، متعها ومالها، وشهواتها.

إن ألقيتَ عليه الموعظة فهو أصمٌّ، إن تكلّم لا يتكلّم إلاّ عن الدّنيا، لسانه يتلعثم في ذكر الله، ويشمئزّ عند سماع: (**قال الله، وقال رسوله**)، ويتثاءب من حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، إذا حدّثته عن الدّنيا أَصْغَتْ أذناه وبرقت عيناه، وإن ذكرت الآخرة ولّى مدبرًا.

أمراض قلوبهم انقلبت أعمالاً، لهم علاماتٌ يُعْرَفُونَ بها، من أوضحها الرّياء، لهم ظاهرٌ مخالفٌ للباطن، لهم موقفٌ معلنٌ، وموقفٌ حقيقيٌّ مخبّأ، لهم عبادةٌ يعبدون بها الله أمام النّاس، أساس مواقفهم الرّياء.

" **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿142﴾** " **سورة النّساء.**

من صفات المنافقين التّذبذب والحيرة، والإزدواجيّة مع هؤلاء أو مع هؤلاء، مع رفاق السّوء، أم مع المؤمنين ورفاق الصّلاح، مع دور العبادة أم دور الرّقص واللّهو.

أحدهم كالشّاة العائرة بين الغنمين، تَعِيرُ مرّةً إلى هذه وإلى هذه مرّةً، لا تستقرّ مع إحدى الطّائفتين، إذا جلس مع أهل الإيمان طاب له المجلس، فإذا جلس مع الكفّار أو الفسّاق والفجّار طاب له المجلس، هذه علامة النّفاق.

لو كان حقًّا مؤمنًا لما ارتاح في مجلس الكفّار والفسّاق والفجّار، ولا حديثهم ولا مزاجهم.

روى مسلمٌ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: { **قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**: (**مثل المنافق كمثل الشّاة العائرة بين الغنمين، تَعِيرُ إلى هذه مرّةً وإلى هذه مرّةً، لا تدري أهذه تتبع أم هذه**) }.

" مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿143﴾ " سورة النّساء.

هو وزوجته نوعًا ما محجّبةٌ، يجلس في مكانٍ عامٍّ حيث الغناء والطّرب والرّقص، والإختلاط والمشروبات. هذا المكان ليس مكان أهل الإيمان، حفلةٌ مختلطةٌ فيها، وفيها، وفيها.

بعض أشباه الرّجال تأخذه زوجته إلى حفلةٍ فيها رقصٌ، وغمزٌ ولمزٌ، ولمسٌ ومواعيدٌ، ويأخذ معه بناته وهنّ بالحجاب،

أيُّ حجابٍ هذا؟،

أيُّ إيمان هذا؟،

هذا حال أهل النّفاق والعياذ بالله، هذا كالشّاة العائرة، لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك.

من صفات المنافقين السّير مع الأقوياء وليس مع الحقّ، إذا انتصر أهل الإيمان قالوا نحن معكم، وإذا غلب أهل الكفر والضّلال قالوا لدينا عقدٌ معكم ضدّ المؤمنين.

" الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . . . ﴿141﴾ " سورة النّساء.

ومن صفاهم أنّ الرّجل إذا سمع لحلاوة قوله ولينه، إلاّ أنّ الله يشهد على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام، أي خصمٌ شديدٌ، وعدوٌّ لدودٌ، وكارهٌ حقودٌ:

" وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿204﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿205﴾ " سورة البقرة.

المؤمن الحقّ علانيته كسريرته، وسريرته كعلانيته، باطنه كظاهره، وظاهره كباطنه، المؤمن له اتّجاهٌ واحدٌ:

" مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ . . . ﴿4﴾ " سورة الأحزاب.

المنافق مزدوج الإتّجاه.

المؤمن ليس له مواقفٌ معيّنةٌ أمام النّاس ومواقفٌ أخرى لوحده.

من لم يكن له ورعٌ يصدّه عن معصية الله إذا خلا، لم يعبأ الله بشيءٍ من عمله.

ركعتان من ورعٍ ولله وحده، خيرٌ من ألف ركعةٍ من مخلّط مُرائي.

المنافق مفسدٌ في الأرض، يبيع مخدّراتٍ، يزني، يفتح حانةً، يفتح مرقصًا، يُرخّص لبيوت الفساد، يترك أهل الفسق والفجور ينتشرون، ويتوالدون بعلب اللّيل حيث الخمر والنّساء واللّيالي الحمراء.

" وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿ 205 ﴾ " **سورة البقرة.**

" ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ 3 ﴾ " **سورة المنافقون.**

بعد ما آمن، رأى أنّ في الإسلام قيودٌ وحدودٌ، وضوابطٌ وتكاليفٌ، وغضّ البصر، وترك الخيانة والغشّ والخداع... فبعد أن عاهد الله وسار في أوّل الطّريق، رأى الإيمان عبئًا وحملاً، رآه ثقيلاً، فانتكس وعاد القهقرى، وترك الصّادقين والمؤمنين يتابعون الطّريق، وتأخّر هو.

قال تعالى:

" ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ 3 ﴾ "

سورة المنافقون.

بعد إيمانٍ عاد إلى رفقاء السّوء، عاد إلى شهواته المحرّمة، عاد إلى معاصيه، تلك هي حالة المنافقين.

كراهة شرع الله وأحكام الإسلام وحدوده:

" ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿ 9 ﴾ " **سورة محمّد.**

إذا الله تعالى أمر بأمرٍ وشعرت بكراهيّة هذا الأمر، فهذه علامة النّفاق.

المؤمنون يفرحون بما أنزل الله، أمّا المنافق يرى الأمر ثقيلاً.

المنافق يُعرف في فلتات لسانه، وسقطات أفعاله:

" وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿ 30 ﴾ " **سورة محمّد.**

يقول: (**الشّريعة لا تصلح لهذا الزّمان، هذا دينٌ عنيفٌ، هذا إسلام التّأخّر...**)، احذروا النّفاق ومظاهره.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

إخوتي الكرام،

حذيفة رضي الله عنه سمع رجلاً يقول:

(**اللّهمّ أَهْلِكْ المنافقين**)،

فقال:

(**يا ابن أخي، لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلّة السّالكين**).

والمعنى أنّ الكثرة الكبيرة من الموجودين منافقون.

– لقد أسرّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لحذيفة بأسماء المنافقين، يأتيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول له:

(**ناشدتك بالله، هل سمّاني لك رسول الله منهم؟**)،

قال:

(**لا.. ولا أزكّي بعدك أحدًا**).

– ابن أبي مُلَيْكَةَ التابعي يقول:

(أدركت 30 من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كلّهم يخاف النّفاق على نفسه).

- الحسن البصريّ قال:

(ما أمن النّفاق إلاّ منافقٌ، وما خافه إلاّ مؤمنٌ).

- قال بعضهم:

(النّفاق يُزرع، يَنْبُتُ له ساقان: ساق الكذب وساق الرّياء، ويُسقى بعينين: عين ضعف البصيرة وعين ضعف العزيمة).

- روى الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال:

(يُطبع المؤمن على الخِلال كلّها إلاّ الخيانة والكذب).

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،
اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،
اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداءَ الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة المصريّين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.